الأسس البنيوية الحاضرة في النقد النفسي المعاصر

The structural foundations present in contemporary psychological criticism

إعداد

د. جمال ولد الخليل

جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – موريتانيا

Dr. Jamal Ould Khalil

University of Nouakchott, Faculty of Arts and Humanities - Mauritania

البريد الإلكتروني: elkhalil1973@gmail.com

المستخلص :

من المناهج التي احتلت الصدارة منذ بداية القرن العشرين المنهج النفسي الذي تزعمه "سيغموند فرويد" ***Sigmund Freud***، وطوره من بعده تلامذته، حيث عملوا على نشره، وحاولوا تطبيقه على النصوص الأدبية، كما طوروه، وزادوا عليه، وهو ما يسمى با"لنقد النفسي".

وإذا كان الناقد النفسي -في نظر شارل مورون- لا يرفع بصره عن النص منه يبدأ، وإليه يعود، فإن التحليل البنيوي يستند على أربعة منطلقات هي كالتالي:

1- اكتشاف البنى الداخلية اللاشعورية للظاهرة.

2- معالجة العناصر بناء على علاقاتها، وليس على أنها وحدات مستقلة.

3- ارتكاز البنيوية دائما على الأنظمة.

4- السعي إلى إقامة قواعد عامة عن طريق الاستنتاج، أو الاستقراء.

الكلمات المفتاحية:

النقد النفسي المعاصر- علاقته بالمنهج البنيوي

Summary:

One of the approaches that has occupied the forefront since the beginning of the twentieth century is the psychological approach led by Sigmund Freud, and developed by his students after him, as they worked to spread it, and tried to apply it to literary texts, as they developed it, and added to it, which is called "psychological criticism".

If the psychological critic - in the view of Charles Moron - does not raise his eyes from the text from which he begins, and to which he returns, then structural analysis is based on four starting points - according to Leach - which are as follows:

-1Discovering the internal unconscious structures of the phenomenon.

-2Treating the elements based on their relationships, and not as independent units.

-3Structuralism is always based on systems.

-4Seeking to establish general rules through deduction or induction.

Keywords:

Contemporary Psychological Criticism - Its Relationship to the Structuralist Approach.

لقد استخدم فرويد طريقتين متكاملتين في تحاليله للنصوص الأدبية: طريقة تكوينية، تربط دلالة عمل فني بسيرة الكاتب الذاتية، كما تحاول أن تكشف عن تاريخ الأديب من خلال شخصياته ونتاجاته، وطريقة بنيوية تعمل على مقارنة نصوص عديدة لمؤلف واحد بغية اكتشاف بنية نفسية مشتركة، وقراءة الأعمال الأدبية كتنوعات لاستيهام مشترك[1].

1-البنية اللغوية اللاشعورية:

من خلال هذه المعطيات التي قد بيناها يمكننا الحديث عن البنية اللغوية اللاشعورية عند المحللين النفسانيين، خاصة عند من ارتبط اسمه بالبنيوية، وهو "جاك لاكان"، «وتتلخص محاولته في الاهتمام الشديد بالنص باعتباره سلسلة دالة (***Chaine signifiante***) ذات طابع رمزي تحكمها آلية التكرار (***L'automatisme de répétition***)، وتعبر -في نهاية الأمر- عن نوايا اللاشعوري. إن النتائج المستخلصة من دراسته تؤكد على حقيقة لها أهمية قصوى، وهي أن الذات إذ تعبر من خلال آلية التكرار الرمزي المهيمنة، فإنها لا يمكن أن ينظر إليها كمركِّب بل كمركَّب بواسطة تلك الرموز نفسها، لأن آلية التكرار الرمزي هي التي تقدم لنا في نهاية الأمر الصورة الحقيقية للذات»[2].

اللغة تعمل على تشكيلة لأنها تفصح من خلال السلسلة الرمزية التي لا معنى لها إلا بالنظر إلى النظام الذي يحكمها عن حقيقة أهدافه اللاوعية.

ويوضح لاكان- من خلال دراسته لحكاية "الرسالة المسروقة"- علاقة متشابكة بين الذوات لا فقط ذاتا واحدة تنتظم في سلسلة رمزية دالة محورها الأساسي هو العلاقة مع موضوع أساسي دال، وهو الرسالة المسروقة، ففي الوقت الذي تحاول فيه الملكة إخفاء الرسالة التي توصلت بها في غفلة عن الملك، يستطيع الوزير المحتال أن يأخذ الرسالة تحت نظرها دون أن تستيطع الاحتجاج حتى لا يُفْتَضَح أمرها لدى زوجها الحاضر في غفلة عما يجرى، كما أن شخصا آخر يحتال على الوزير فيستولي على الرسالة دون أن يعلم بأمره، وعندئذ تصبح الرسالة المسروقة نفسها دالا بحكم العلاقة بين هذه الذوات، فهي تحدد نواياهم الواعية واللاواعية على السواء، لذلك يرى جاك لا كان: أن انتقال هذه الذوات يكون محددا بواسطة الموقع الذي يحتله "الدال" الذي هو "الرسالة المسروقة" في المجال

[1] - على بوشنفة هلال: الأسطورة الشخصية في الأعمال الروائية لنوال السعداوي بحث لنيل الدكتوراه في الآداب، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب –مكناس 2004-2005 تحت إشراف محمد خرماش.، ص: 38.

[2] -د. حميد لحمداني: النقد النفسي المعاصر تطبيقاته في مجال السرد،1991،ط1، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية(دراسات سال)، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب ، ص: 20.

الثلاثي للذوات نفسها، وهذا مما يؤكد اعتبار هذا الدال آلية للتكرار[1]، وهذا يحدو بنا أن نقول: إن مجال التحليل النفسي هو اللغة حصرا، «إن تحليل النظام الرمزي بواسطة تفكيك وحدات اللغة يعد في نظر "لا كان" محاولة للوصول إلى اللاشعور الذي لا وجود له في الواقع إلا من خلال النظام الرمزي للغة، ذلك أن المحلل النفسي ذاته لا يمكنه أن يصل إلى حقيقة اللاوعي عن مريضه إلا من خلال اللغة الواعية التي يعبر بها عن نفسه، ولهذا يشكل اللاشعور بنية مثل اللغة نفسها»[2].

من خلال هذه الآراء والمعطيات التي قدمنا ها نرى «بأن تلك البنية أو البنى ليست مطروحة على أديم النص (يعرفها العربي والعجمي)، وإنما هي أنساق خفية»[3].

إن هذه العملية ليست سطحية، بل هي تمثل إلى حد بعيد نظرة حادة أشبه ما تكون بالأشعة الحمراء التي تستطيع أن تتوغل في أعماق الشيء إذا هي سلطت عليه من الخارج[4]، غير أن هناك اختلافا جوهريا بين علم النفس التحليلي، والبنائية، فإذا كانت البنائية تتفق مع علم النفس التحليلي في أنها ترى في سلوك الإنسان معنى أعمق من المظهر السطحي، وإذا كانت تتفق معه في أن البناء، أو النظام الذي يبحث عنه يقع في مناطق غائرة من تكوين الإنسان الخفي، فإن وجه الاختلاف يتمثل في أن النظام، أو البناء الذي تبحث عنه البنائية يقع في عمق التاريخ البشري، وفي عمق التكوين الكوني، في حين أن النظام الذي يبحث عنه علم النفس التحليلي يقع في اللاشعور الذي يشكل محتواه في النهاية حياة الفرد الفردية[5].

اتجهت قراءات اللاكانيين إلى اعتماد البنيات اللغوية دليلا على تبنين اللاوعي فيها، فاتخذوها مطية للتحليل النفسي، فالنص كتابة مرموزة، وخفية قصد إلى ذلك الأديب، أم لم يقصد، ويُعمل على تحليلها نفسيا، وذلك على مستويين الأول: تحليل (الإشارات، والومضات) التي تتبدى في الحروف

---

[1] - نفس المرجع السابق، ص: 20.
[2] - نفس المرجع، ص: 21.
[3] - د. حمادي صمود: قلب الشاعر لأبي القاسم الشابي: محاولة قراءة، مجلة فصول، المجلد الأول العدد 4 يوليو 1981، ص: 221.
[4] - د. عز الدين اسماعيل: مناهج النقد الأدبي بين المعيارية والوصفية، مجلة فصول المجلد1 العدد:2 يناير 1981، ص: 22.
[5] - د. نبيلة ابرهيم: البنيوية من أين وإلى أين؟، مجلة فصول، المجلد1 العدد: 2 يناير 1981، ص: 172.

والكلمات والجمل[1]، فالسياق الذي يولد الدلالة له مكونات داخل النص على شكل علامات، وإشارات تحيل عليه[2].

قد نجد أن الدراسات الحديثة أصبحت تمضي في هذا النسق، ليس فقط في ميدان الدراسات الأدبية والنقدية، بل وفي كل الدراسات الإنسانية، وغيرها: الرياضيات الحديثة تعتمد على الفكر البنيوي، علم النفس الحديث، كما أن هناك علم اللغة، أو اللسانيات، وهو بمثابة بنك تستمد منه العلوم الأخرى كل قروضها وديونها من المصطلحات البنيوية[3].

وإذا أمعنا النظر في منهجية النقد النفسي عند "شارل مورون"، والتحليل النفسي عند "جاك لا كان" من جهة، والبنيوية من جهة أخرى، نرى أن المنطلقات تبقى واحدة، «فالناقد البنيوي ما يهمه هو فك شفرات النص الأدبي بغية إنارته، وهو: كعالم الآثار، أو الجيولوجيا يحفر في تربة النص ويعرى طبقاتها عله يصل إلى الكشف عن خبيئة لم يسبقه إليها أحد»[4]. مع ضرورة وضع النص داخل الظرف التاريخي والاجتماعي الذي أنتجه كما ترى ذلك البنيوية التوليدية[5]

2- البنيوية التكوينية (البنيات المتلاحمة):

مهمة البنيوي التكويني تتمثل أولا في أن « يسلط أكبر قدر من الضوء على أكبر قدر من البنيات المتلاحمة في الإنتاج كله لتستقيم بين يديه تلك الوحدة المتجانسة التي تجد لها مرجعا في الواقع الحياتي، هو البنية التاريخية الدالة التي تجد مرتكزها في تصرفات، أو ميولات الجماعة الاجتماعية، فمقولات المنهج النفسي الذي يعتبر المبدع هو الفرد، ويعتبر مبعث الإبداع هو الحوافز النفسية»[6].

---

[1] - د. بوسليخن محمد: النقد الروائي عند جورج طرابيشي، أطروحة دكتوراه الدولة تحت إشراف حسن النعمي جامعة سيدي محمد بن عبد الله – كلية الآداب ظهر المهراز – فاس، العام الجامعي 1998-1999، ص: 74-114.

[2] - ندوة لجماعة من الأساتذة: الحدود بين المدارس اللسانية في علاقتها بالأدب وقضية السياق والمعنى، مجلة دراسات أدبية ولسانية العدد 3، السنة الأولى، ربيع 1986، ص: 131.

[3] - حوار مع الدكتور صلاح فضل: مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد 5، السنة الثانية، شتاء 1986 ص: 111.

[4] - د. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، العدد 232 أبريل 1998، ص: 280.

[5] - د. عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، العدد: 272 أغسطس 2001، ص: ص: 141.

[6] - د. محمد خرماش: إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي المعاصر البنيوية التكوينية بين النظرية والتطبيق، ط: 1 نوفمبر 2001، مطبعة آنفو-برانت الليدو- فاس، ص: 28-30.

فالنص الأدبي ليس "لعبة لغوية" فحسب، وإنما هو تعبير عن مستوى من الوعي، والإدراك، إنه «رؤية للعالم ذات دلالة اجتماعية»، وهذه "الرؤية" هي التي تنظم فضاء النص، وتختبئ بمهارة خلف أسرار الكلمات، وتحت مستويات النغمة وظلال الحروف، وعلى الباحث أن يكتشفها من وراء كل ذلك[1].

إن البنيات اللاشعورية هي التي تحدد -بكيفية مسبقة- وظيفة الفرد في المجتمع[2]، فقد استطاع التحليل النفسي –كما يرى بوسليخن- التسلل إلى كثير من الدراسات الواقعية، فقد اعترف له "لوسيان غولدمان" في منهجية البنيوية التكوينية بحق المواطنة في النقد الأدبي، واعتبر أن التحليل النفسي مثل علم الاجتماع الأدبي (بنية تكوينية)، وأنهما يشتركان في التأكيد على أن كل سلوك بشري يشكل جزءا على الأقل من بنية واحدة ذات دلالة، ولفهم هذا السلوك ينبغي إدراجه في البنية التي يكشف عنها الباحث، ويؤكد غولدمان: أن هذه البنية لا يمكـن فهمها –حقا- إلا إذا أحيط بها في تكوينها الفردي: أو التاريخي على التوالي[3].

إن السياق التاريخي، والاجتماعي، والثقافي يمكننا من فهم أحسن للنص، ويجنبنا كثيرا من المنزلقات[4].

فالتحليل النصي- من زاوية نفسية- طريقة في المعالجة الطبية للأشخاص المصابين بأمراض عصبية[5]، لذا جاء الاهتمام بالتحليل النفسي اللاكاني الذي يدقق الفحص، ويتدخل بجرأة لتفكيك الأنا الخيالي النرجسي الواهم، ويعيد بناء الأنساق النفسية في صورة من التوازن من خلال التشريح الدقيق للغة[6].

مفهوم الأسطورة الشخصية :

يعتقد "مورون" أن الكاتب يعبر من خلال عدد لا حصر له من الرموز عن فكرة ثابتة، أو عقدة راسخة، هذه الفكرة تكون أحيانا واقعية، أو خيالية يتناولها الناقد في بداية تحليله كفرضية قابلة

---

[1] - نفس المرجع، ص: 70

[2] - مصطلحات أدبية: البنيوية والنقد البنيوي، http://www.annabaa.org

[3] - د.بوسليخن محمد: النقد الروائي عند جورج طرابيشي، أطروحة دكتوراه الدولة، مرجع سابق، ص: 40.

[4] - محمد إنفي: بين سوسيولوجيا وسيميولوجيا النص الأدبي، ملاحظات حول السياق، علامات، العدد: 13 /2000 المغرب، ص: 100.

[5] - سيغموند فرويد: مدخل إلى التحليل النفسي، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الرابعة، ديسمبر 2000، دار الطليعة الطليعة للطباعة والنشر –بيروت- لبنان، ص: 7.

[6] - عبد الله عسكر: مدخل إلى التحليل النفسي اللاكاني، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية 2001، القاهرة، ص: 14.

للتطوير في سياق، ثم يقوم بتحليل تماثلي للنصوص وفق أسلوب الارتداد والتقدم، آخذا بعين الاعتبار جملة مسلمات منها: اللاشعور، وأهمية الطفولة، ودورها في تشكيل اتجاهات الشخص البالغ، وآثار بعض الوقائع الراسخة في الذاكرة واللاوعي، ووجود النزوات المتسلطة، هذه العناصر زئبقية الطابع، إنها تغيب، وتظهر في النص، تتلون بتلاوين مغايرة، وتحمل دلالات ورموزا جديدة[1].

فالأسطورة الشخصية استيهام دائم يضغط على الكاتب عندما يمارس فعاليته الخلاقة، إنها ليست الحلم أثناء النوم، وأحلام اليقظة، أو مظهرا عصابيا، تبرز أحيانا على شكل هاجس، أو وساوس في خلفية فكر الكاتب، أو الرسام التشكيلي، وتعبر عن ديناميكية عميقة لها اتصال بالوظيفة المتخيلة المرتبطة بالديمومة الحية للإنسان الخلاق.

فالأسطورة الشخصية مقولة قبلية من مقولات الخيال، والعوامل الاجتماعية تسهم في تكوينها خصوصا مرحلة الطفولة[2]، فهي أيضا غير موعى بها، وهي في الأصل تخيل مستمر يضغط على وعي المبدع أثناء استسلامه إلى النشاط الإبداعي، وينبغي تميزها عن الحلم الليلي، أو حلم اليقظة، أو العرض العصابي، إذ إنها في الحقيقة ليست أكثر من مجرد وساوس يكمن خلف تفكير المبدع، ويرسم الخطوط النفسية العميقة لشخصية تبحث عن الاستقرار[3].

إن العمل الفني يتم، «والفنان في حالة حلم، وكثير من الشعراء يحدثوننا عن أنهم كتبوا أروع أعمالهم الشعرية، وهم في حالة تشبه المسحورين»[4]، وقد يظهر لنا مفهوم الأسطورة عند (ريفاتير)، وإن لم يطلق عليه هذه التسمية، وإنما أطلق (سمة أسلوبية)، يقول: «إن النص يحتوي على مقاصد، وسمات أسلوبية ليس لوعي الكتاب إحاطة بها، وهو ما يطرح سؤالا جوهريا، هنا يجيز"ريفاتير"- فعلا- تدخل الدراسات السيكولوجية لترصد السمات اللاواعية في النص، وخصوصا تلك التي يصعب رصدها بالمقاربات الأخرى لتعذر إدراكها في النص بسبب غموضه مثلا، أو لتعقد بنيته، وإغراقه في

---

[1] - فؤاد أبو منصور: النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، نصوص. جمالية، تطلعات، دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى، 1985، ص: 87.

[2] - نفس المرجع، ص: 89.

[3] - عبد الله راجع: القصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد، الجزء الثاني، نشر عيون المقالات لطبعة الأولى 1988، مطبعة النجاح الجديدة، ص: 91.

[4] - د.عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، الطبعة الثالثة 1981، دار العودة ودار الثقافة – بيروت، ص: 161.

الرمزية والأحلام»[1]. إلا أنه قد لا توجد حقيقة يمكن الإمساك بها داخل النص، فما يوجد داخله ليس أكثر من خيالات لا وجود لها من ناحية[2]، فالكاتب كما يرى "إمبرتوايكو" «لا يعرف ما يقوله، فاللغة هي التي تتحدث نيابة عنه»[3] .

يقول "بارت": «إن المستوى الرمزي هو مستوى اللاشعور، ويضيف –أيضا- إن القارئ الرمزي هو الذي يحلل النص لاستخراج البنية الدالة ***Structure signifiante***، لذا يعتبر توظيف النقد السيكوبنيوي ضروريا لاقتلاع البنية الدالة في النص»[4].

وعند "مورون" « على الناقد أن ينتقل من شبكة الاستعارات إلى المركب (العقدة)»[5]، وقد يعني بذلك أن الأساس والجوهري يكمن في اللغة الفنية للنص التي يشكلها عالم الفرد المبدع.

وبعد أن قدمنا تصورا عن مفهوم الأسطورة الشخصية، نجد بعض الدارسين في مجال النقد النفسي يجري مقارنة بين الكاتب وماضيه- بعد دراسته على الطريقة المرونية-، حيث يقارن ما توصلت إليه الدراسة النفسية مع حياة الكاتب كمرحلة أخيرة، إلا أنه يرى البعض «أن الأسطورة الشخصية غير خاضعة -في نفس الوقت- لحرفية السيرة الذاتية للكاتب»[6].

ولا يشترط أن تكون الدوافع الجنسية راجعة بالضرورة إلى طفولة الكاتب، بل هناك بعض التجارب، واللحظات، والمواقف التي تسبب صدمات نفسية تترك أثرها البالغ في نفسية الكاتب، وتتخذ من أعماله الأدبية صورا تعبيرية رمزية دالة على المعاناة، من ذلك مثلا الأثر البالغ الذي تركه موت

---

[1] - ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم: حميد لحمداني، منشورات دراسات (سال) الطبعة الأولى مارس 1993، دار النجاح الجديدة، ص: 34.

[2] - د.عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة الكويتية العدد: 298، نوفمبر 2003، ص: 117.

[3] - إمبرتوايكو: التأويل بين السيمائية والتفكيكية، ترجمة وتقديم: د. سعيد بنكراد، الطبعة الأولى 2000، المركز الثقافي العربي، ص: 42.

[4] - عبد الرحيم العماري: الدليل والنسقية، مشروع سيميائية النص عند بارت، التواصل: المعرفة والسلطة، الطبعة الأولى 1997. المنشورات الجامعية المغاربية 243 مطبعة دار وليلي للطباعة- مراكش، ص: 51.

[5] - سمير سعد حجازي: النقد الأدبي المعاصر: قضاياه واتجاهاته، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى 2001، القاهرة- مصر، ص: 55.

[6] - د. حميد لحمداني: الفكر النقدي الأدبي العالمي، شخصيات ومواقف، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب – ظهر المهراز، فاس، بدون تاريخ، ص: 56.

شقيقة "مالا رميه" الشابة "ماريا" على نفسيته، وما نتج عن ذلك من تجليات تعبيرية غريبة أحيانا في أعماله الأدبية[1].

ويرى خريستو نجم «أن تحليل النصوص الأدبية أمر دقيق يتطلب حسا مرهفا، وفطنة مميزة، لأن كلمة بسيطة قد ترشدنا إلى (نقلة)، أو تحيلنا إلى نقطة تلتحم فيها مجموعة من العناصر اللاواعية»[2]، لعل ذلك ما يتطلب استثمار الأسطورة الشخصية في التحليل.

وظيفة الأسطورة الشخصية

اعتبرها "شارل مورون" شبكة من العلاقة الاستعارية التي تمثل في مجموع أعمال مبدع واحد أسطورتَه الشخصية، «فهي مجموعة من الخصائص النفسية المرتبطة باللاشعور، والمتحكمة في جميع نتاجات المبدع، إنها تتحول إلى خصائص فنية، ودلالية تتخلل أعمال كاتب ما، وتحدد السماتِ الخاصةَ التي تميزها عن إبداعات مبدع آخر»[3].

ويحدد "شارل مورون" الخطواتِ الإجرائيةَ التي يجب أن يسلكها الباحث من أجل استقصاء الأسطورة الشخصية في البحث عن الشبكات: ***la recherche des réseaux***، فدلالة الأسطورة الشخصية ليس فقط في تعاود صورها، وإنما في التفاعلات الموجودة بينها[4].

ويحذر "مورون" من تطبيق آلي لطريقته يقول: «يتطلب تحليل كاتب واحد عدة سنوات من العمل، ومن الذين اقتفوا خطواته بأمانة "دومينيك فرناندیز"، الذي يعرّف بذاته (عالم نفس السيرة الذاتية)، ويسعى إلى درس التفاعلات بين الأديب ومؤلفاته، والوحدة التي تشدّهما انطلاقا من حوافز لاشعورية»[5].

نلاحظ أن التحليل النفسي للأدب «يهتم بتركيب الصورة المتكررة في النص، باعتبارها تمثل بؤرة الشبكة الدلالية للنص»[6].

---

[1] - نفس المرجع، ص: 58.
[2] - د. خريستو نجم: النقد الأدبي والتحليل النفسي فصول في تحليل الفكر والأدب والفن، دار الجيل – بيروت مكتبة السائح طرابلس شارع الراهبات، الطبعة الأولى 1991، ص: 34.
[3] - د. حميد لحمداني: النقد النفسي المعاصر، تطبيقاته في مجال السرد، ص: 82.
[4] - علي بوشنفة هلال: الأسطورة الشخصية في الأعمال الروائية لنوال السعداوي، أطروحة الدكتوراه، ص: 31.
[5] - فؤاد أبو منصور: من الأسطورة الملحة إلى الأسطورة الشخصية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد: 23 كانون أول كانون الثاني، 1982، ص: 170.
[6] - د. محمد بن عبد الحي: التنظير النقدي والممارسة الإبداعية، دراسة لأعمال ستة نقاد/ شعراء معاصرين، اتحاد الجمعيات الفلسفية العربية (1) الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية 2001، ص: 67.

وتحدو بنا الطريقة المرونية- حول وظيفة الأسطورة الشخصية –للتساؤل عن علاقة التحليل النفسي بالدراسات البنيوية المعاصرة؟، «إن دارس الأسلوب سواء أكان قصة، أو قصيدة، أو مسرحية، فإنه يحاول أن يشرح (الميكانيزم) الكامن وراء القوى النفسية المشكلة للعمل، ويتعمق في تحليل المتعة الجمالية الناجمة عن تلقي بنيته الشعرية، ثم يحاول فيما بعد- ولا بد أن يأتي هذا في المرحلة التالية- أن يدرس العناصر المكونة له، ودورها في بنية الخلق الشعري، فيتساءل: بم يوحي هذا الاسم المصغر، وكيف يكون ذلك الإيقاع؟، وعم يكشف في لحظة الإبداع؟، وأي أثر جمالي ينجم عنه؟»[1].

ويفسر علم النفس التكويني المعطيات النفسية بربطها مع ظواهر نفسية سابقة[2].

هذا ويصبح التحليل بحثا عن فيض المعنى، مما يتطلب تدخل الدراسة التيماتية لترصد الملاحقة المستمرة التي يتميز بها المعنى.

النقد الموضوعاتي

يمتلك الأدب متعة في جمالية التواءاته خارج السياق المباشر، وامتلاكه لهذا السحر يدفعه إلى اختراق الأشياء اللامرئية.

من هنا تصبح غاية التحليل هي: «مطاردة المعنى وترويضه، ورده إلى العناصر التي أنتجته، وتبعا لذلك عوض أن يكون الأثر الجمالي قوة لا يتحكم فيها، ولا يحدد حجمها سوى الذات المتلقية، فإنه يتحول إلى عملية تحليلية تستند إلى العناصر النصية»[3].

وإذا تأملنا مناهج النقد الحديث المعاصر نجد أن ثمة تشابها بينها، فإذا كان النقد النفسي يهتم بالاستعارات الملحة، فإن النقد البنيوي يسعى إلى إبراز الأفكار المسيطرة في النص، «وأما المنهج الموضوعاتي، أو التيمي (***La Méthode thématique***) الذي يسعى إلى إبراز بعض

[1] - د. صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت: الطبعة الأولى 1985، ص: 67.

[2] - رومان ياكبسن: أو البنيوية الظاهراتية المارهولنشتاين، ترجمة: عبد الجليل الأزدي، الطبعة الأولى 1999، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص: 17.

[3] - د. سعيد بنكراد: السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن 2001، الكتاب 29، ص: 10

العناصر المتكررة في الإنتاج، فهو –غالبا- ما يربط أيضا هذه العناصر، أو هذه (التيمات) الجذرية بنوع من سيكولوجية الكاتب المسطحة»[1].

هناك طغيان الاهتمام بالأفكار باعتبارها مظاهر للوعي عند الكتاب المدروسين[2].

ونجد أن النقد الموضوعاتي يقترب من الدراسة الرمزية، وقد يفترض تأويلات بعيدة، «غير أن "جورج بولي" لا يتحدث عن الترميز اللغوي البسيط، بل يلتقط عددا من التيمات الدلالية التي تكون المظهر السطحي في العمل الأدبي، ويؤولها إلى دلالة رمزية مستهدفة في العمق، ومثل ذلك ما فعله بالنسبة لدراسته عن (بلزاك) حين لاحظ أن صيغة الأشكال السطحية التالية، (وهي تيمات دلالية تشير إلى الحركة الفيزيائية إلى الأمام): الطيران- السباحة، الارتحال، الإسقاط، الاندفاع إلى الأمام تقول: لاحظ أنها ترمز كلها إلى الحركة نحو المستقبل»[3].

والمنهج الموضوعاتي يهتم في المقام الأول بالمضمون الفكري، وأشكال تجلياته داخل المادة الإبداعية[4].

وعند سعيد علوش، «أطلق ج.ب. ويبر، الاصطلاح الموضوعاتي على الصورة الملحة، والمتفردة، والمتواجدة في عمل كاتب ما، من ثم ينظر إلى الاصطلاح الموضوعاتي حسب منطق التماثل، ويبرز سر الموضوعاتي في الإبداع عبارة عن حديث ينتج من إجراء صدمة تعود إلى أوائل أسباب –إن لم نقل طفولة- الكاتب، ويظهر الموضوعاتي عند ج.ب.ريشار في شكل هوية سرية ذات مستويات متعددة ترتبط بالتجربة الخاصة للوعي التأملي أو الخارجي»[5].

ويعتبر (نورمان فريدمان) الاصطلاح الموضوعاتي من الاصطلاحات الأساسية، والمتغيرة في النقد المعاصر، وكان يعني في النقد القديم المعنى العام أو الشكل[6].

ويلاحق النقد الموضوعاتي الكلمات المفاتيح، والصور المفضلة، والعلامات البارزة عبر وتائر إحصائية مرة، وتأويلية مرة ثانية[1].

---

[1] - د. محمد خرماش: إشكالية المناهج في النقد الأدبي البنيوية التكوينية بين النظرية والتطبيق، ص: 46.
[2] - د. حميد لحمداني: سحر الموضوع، منشورات: دراسات سيميائية أدبية لسانية (سال) مطبعة النجاح- الجديدة 1990، ص: 24.
[3] - نفس المرجع، ص: 36.
[4] - نفس المرجع، ص: 40.
[5] - د. سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع- الرباط 1989، ص: 11.
[6] - نفس المرجع، ص: 15.

وتطلق على النقد الموضوعاتي عدة تسمياتـ منها: النقد المثالي، والنقد المداري، والنقد الجذري، ومن الذين استخدموا مصطلح النقد الجذري حميد لحمداني حيث يقول: «يبدو النقد الجذري تجولا في النص، وليس إلقاء نظرة، أو صياغة موقف»[2].

هذا ويركز النقد الموضوعاتي على الموضوعات التي تبدو متناثرة في النص، حيث يمكن أن تشير إلى اهتمامات الكتاب، بمعنى أن هناك خيطا يجمعها ويشدها إلى أصل واحد[3].

ويرى حميد لحمداني «أن رواد هذا الاتجاه لا يخفون مسألة انفتاح ممارساتهم النقدية على كل المناهج، إننا نستعيد بكل هذه المحاولات العملية لالتقاط النبض الأساسي للنص الذي نعتبره واقعا حيا، ويذهب "جان بيير رشار" بعيدا إلى تأكيد استفادة النقد الموضوعاتي من البنيوية إلى جانب التحليل النفسي والشكلية، وفي نفس الوقت يؤكد على استخدام الناقد الموضوعاتي لطاقة الحدس»[4].

في حوار مع جان "بيار ريشار" يقول: «لا يسعنا التكلم على تقنية جذرية واحدة، ثمة مجموعة تقنيات تشترك في مواصفات نقدية محددة أهمها:

- العثور على الخلية الرئيسية في النص، وحصر محاورها، وجذورها ضمن التجسيد اللغوي البحت.

- مقارنة الجذور، واستخلاص تراكماتها اللغوية، وأبعادها الدلالية.

- تعميم المقارنة على مختلف نصوص الكاتب انطلاقا من وحدات أساسية تحددت في نص رئيسي، أو مجموعة نصوص معينة»[5].

والنقد الجذري (الموضوعاتي) تأثر بالبنيوية، ومنهج التحليل النفسي، وبتيار الشكلية الفرنسية الجديدة مع "تودوروف"، و"بارت"، وغيرهما[6].

والمعالجة التيماتية حرة، وتستند إلى عدة مناهج، ولا غرابة أن يكون التحليل الموضوعاتي تحليلا نصيا.

---

[1] - نفس المرجع، ص: 105.
[2]- د. حميد لحمداني: المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي أصوله واتجاهاته، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد: 4 شتاء 1990، ص: 34.
[3] غسان بديع السيد: النقد الموضوعاتي، مجلة علامات في النقد، الجزء 24، المجلد 6 يونيو 1997، ص: 248.
[4] - د. حميد لحمداني: سحر الموضوع، ص: 25-26.
[5] - فؤاد أبو منصور: النقد البنيوي الحديث في لبنان وأوروبا، ص: 190.
[6] - نفس المرجع، ص: 193.

استنتاجات عامة :

انتهى هذا العمل إلى غاية، وهي أن المنهج السيكو بنيوي اعتمد مجموعةً من الأسس هي كالتالي:

❶ كشف أسرار اللاشعور للكاتب، ومن ثم تفسير آثاره.

❷ تسليط الضوء على تداعي الأفكار اللاإرادية تحت بنى الإرادية.

❸ القيام بعملية تنضيد النصوص، وهي عملية تشبه عملية التحليل النفسي، أي تحليل المستويات الشعورية بغرض كشف علاقات خفية تزداد، أو تخف درجة لا شعورها.

❹ إظهار شبكة التداعيات ومجموعات من الصور الملحة (ربما اللاإرادية)، وهو استيهام دائم يضغط بصورة مستمرة على شعور الكاتب.

❺ إيضاح العوامل الاجتماعية التي تلعب دورها في تكوين الشخصية الأسطورية للكاتب وخاصة مرحلة الطفولة.

إن العملية الأساسية لتنضيد النصوص المختلفة لكاتب واحد تعمل على اكتشاف شبكة من الاستعارات المتماثلة، وصور متولوجية متسلطة، ومواقف متواترة تقودنا إلى كلمة السر في النص.

المراجع المعتمدة

الكتب :

-إمبرتوإيكو: التأويل بين السيمائية والتفكيكية، ترجمة وتقديم: د. سعيد بنكراد، الطبعة الأولى 2000، المركز الثقافي العربي.

-حميد لحمداني: سحر الموضوع، منشورات: دراسات سيميائية أدبية لسانية (سال) مطبعة النجاح-الجديدة 1990،

-حميد لحمداني: النقد النفسي المعاصر تطبيقاته في مجال السرد،1991،ط1، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية(دراسات سال)، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.

-حميد لحمداني: الفكر النقدي الأدبي العالمي، شخصيات ومواقف، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب – ظهر المهراز، فاس، بدون تاريخ

-خريستو نجم: النقد الأدبي والتحليل النفسي فصول في تحليل الفكر والأدب والفن، دار الجيل – بيروت مكتبة السائح طرابلس شارع الراهبات، الطبعة الأولى 1991

-رومان ياكبسن: أو البنيوية الظاهراتية المارهولنشتاين، ترجمة: عبد الجليل الأزدي، الطبعة الأولى 1999، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء

-سعيد بنكراد: السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن 2001، الكتاب 29

-سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع- الرباط 1989

-سمير سعد حجازي: النقد الأدبي المعاصر: قضاياه واتجاهاته، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى 2001، القاهرة-مصر

-سيغموند فرويد: مدخل إلى التحليل النفسي، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الرابعة، ديسمبر 2000، دار الطليعة للطباعة والنشر –بيروت- لبنان.

-صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت: الطبعة الأولى 1985،

-عبد الرحيم العماري: الدليل والنسقية، مشروع سيميائية النص عند بارت، التواصل: المعرفة والسلطة، الطبعة الأولى 1997. المنشورات الجامعية المغاربية 243 مطبعة دار وليلي للطباعة-مراكش.

-عبد الله راجع: القصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد، الجزء الثاني، نشر عيون المقالات لطبعة الأولى 1988، مطبعة النجاح الجديدة،

-عبد الله عسكر: مدخل إلى التحليل النفسي اللاكاني، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية 2001، القاهرة.

-عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، الطبعة الثالثة 1981، دار العودة ودار الثقافة – بيروت،

-فؤاد أبو منصور: النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، نصوص. جمالية، تطلعات، دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى، 1985،

-محمد بن عبد الحي: التنظير النقدي والممارسة الإبداعية، دراسة لأعمال ستة نقاد/ شعراء معاصرين، اتحاد الجمعيات الفلسفية العربية (1) الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية 2001

-محمد خرماش: إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي المعاصر البنيوية التكوينية بين النظرية والتطبيق، ط: 1 نوفمبر 2001، مطبعة آنفو-برانت الليدو- فاس.

-ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم: حميد لحمداني، منشورات دراسات (سال) الطبعة الأولى مارس 1993، دار النجاح الجديدة

المجلات

-حمادي صمود: قلب الشاعر لأبي القاسم الشابي: محاولة قراءة، مجلة فصول، المجلد الأول العدد 4 يوليو 1981.

-حوار مع الدكتور صلاح فضل: مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد 5، السنة الثانية، شتاء 1986

-حميد لحمداني: المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي أصوله واتجاهاته، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد: 4 شتاء 1990.

-عز الدين اسماعيل: مناهج النقد الأدبي بين المعيارية والوصفية، مجلة فصول المجلد1 العدد:2 يناير 1981،

-عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، العدد 232 أبريل 1998،

-عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، العدد: 272 أغسطس 2001

-عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة الكويتية العدد: 298، نوفمبر 2003

-غسان بديع السيد: النقد الموضوعاتي، مجلة علامات في النقد، الجزء 24، المجلد 6 يونيو 1997فؤاد أبو منصور: من الأسطورة الملحة إلى الأسطورة الشخصية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد: 23 كانون أول كانون الثاني، 1982

-محمد إنفي: بين سوسيولوجيا وسيميولوجيا النص الأدبي، ملاحظات حول السياق، علامات، العدد: 13 /2000 المغرب،

-نبيلة إبراهيم: البنيوية من أين وإلى أين؟، مجلة فصول، المجلد1 العدد: 2 يناير 1981،

-ندوة لجماعة من الأساتذة: الحدود بين المدارس اللسانية في علاقتها بالأدب وقضية السياق والمعنى، مجلة دراسات أدبية ولسانية العدد 3، السنة الأولى، ربيع 1986،

البحوث والأطاريح

-بوسليخن محمد: النقد الروائي عند جورج طرابيشي، أطروحة دكتوراه الدولة تحت إشراف حسن النعمي جامعة سيدي محمد بن عبد الله – كلية الآداب ظهر المهراز – فاس، العام الجامعي 1998-1999

-على بوشنفة هلال: الأسطورة الشخصية في الأعمال الروائية لنوال السعداوي بحث لنيل الدكتوراه في الآداب، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب –مكناس 2004-2005 تحت إشراف محمد خرماش.

المواقع الإلكترونية :

-مصطلحات أدبية: البنيوية والنقد البنيوي، http://www.annabaa.org